ثبوت تأريخ النزول وأثره في التفسير

د. فراس يحيى عبد الجليل الهيتي

المقدمة

الحمد الله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد

يتناول هذا البحث حول جزئية من جزئيات علم المكي و المدني ، وهذه الجزئية الخاصة بتأريخ النزول ، ولما كانت هذه الجزئية لم تأخذ نصيبها ما تستحقه من البحث فقد رأينا تسليط المزيد من الأضواء عليها ، علمًا بأن تأريخ النزول لايكاد ينفصل عن مكان النزول ونوعية الخطاب و المخاطب ، إلا أننا سنحاول ما استطعنا إلى ذلك سبيلا جلاء هذه النقطة ، وإن كان ذلك يحتاج منا إلى بعض الإشارات أو المقدمات المختصرة لعلم المكي و المدني باعتبار هذا العلم هو الكلي الذي يندرج عنه الجزئي الذي هو موضوع بحثنا وبدايةً نقول : إذا اختلف العلماء في تفسير آية من كتاب الله ، فالقول الذي يوافق تأريخ نزول الآية هو القول الراجح ، والقول الذي يخالف تأريخ نزولها ولايتفق معه فهو قول ضعيف أو مردود .

وإنما قلت : أو مردود ؛ لأن تأريخ نزول الآية لايخلو إما أن يكون متفقًا عليه أو مختلفًا فيه ، فإن كان متفقًا عليه فالقول الذي يخالفه ولايتفق معه مردود ؛ لأجل مخالفته أمرًا مجمعًا عليه . وإن كان تأريخ نزولها مختلفا فيه ، غير أنه تبين الصحيح والراجح بأدلته ، فالقول الذي يوافق الصحيح و الراجح ، هو الراجح ، والقول الذي يخالفه ويوافق الضعيف في تأريخ نزولها ، هو ضعيف مرجوح .

وأعني بـ (ثبوت تأريخ النزول) أمرين :

أحدهما : اتفاق العلماء عليه ، وذلك كاتفاقهم على السور المكية ، وكذا المدنية ، والآيات التي نزلت في تبوك ، أو في حجة الوداع ، ونحو ذلك .

الآخر : ثبوت تأريخ النزول برجحان أحد الأقوال وظهوره دون غيره ، وذلك كأن تكون الرواية فيه صحيحة والقول الآخر روايته ضعيفة ، وهذا يقع في السور المختلف في تأريخ نزولها .

ولا أعني بالتأريخ ضرورة معرفة الساعة واليوم والعام ، بل قد يكفي في التأريخ مرحلة زمنية كالعهد المكي قبل الهجرة أو حادثة معينة كالإسراء ، أو غزوة معينة ، أو القبلية والبعدية بالنسبة لسورة اخرى ، كأن يكون سورة كذا نزلت قبل سورة كذا ، فهذا هو ما أعني به تأريخ النزول .

و أعني بقولي (وأثره في التفسير) أي أثر التفسير الذي يتفق مع تأريخ النزول على غيره مما لايتفق معه . فمثلاً إذا اختلف العلماء في تفسير آية على قولين :

أحدهما يلزم منه أن تكون الآية مكية ، والآخر يلزم منه أن تكون الآية مدنية ، واتفق العلماء على أن هذه الآية المفسرة مثلاً مكية ، فالقول الذي يلزم منه أن تكون الآية مكية هو الراجح .

المبحث الأول : تعريف المكي والمدني

اختلف العلماء في المراد بالمكي والمدني ، ومتى تسمى السورة أو الآية مكية أو مدنية إلى ثلاثة أقوال :

القول الأول : حيث اعتبرت مكان النزول فقالت : ما نزل في مكة وما حولها ولو بعد الهجرة ، فهو مكي ، وما نزل في المدينة وما حولها ، فهو مدني .

وهذا القول غير ضابط ولا حاصر إذ أنه لايشمل ما نزل من الآيات في غير مكة والمدينة وما حولهما ، فقد نزلت آيات قرآنية في تبوك وفي بيت المقدس وفي الطائف ، فالتعريف غير ضابط .

القول الثاني : حيث اعتبرت المخاطب بالآية أو السورة ، وهذه الطائفة نظرت إلى أهل مكة وقت التنزيل ، فوجدت أن الغالب على أهلها الكفر والمناسب لمخاطبتهم النداء (بيأيها الناس) أو (يابني آدم) وبما أن الغالب على أهل المدينة هو الإيمان ، فإن المناسب نداؤهم بيأيها الذين آمنوا ، وعلى هذا فالمكي عندهم ما كان منه (يأيها الناس) أو (بابني آدم) و المدني ما كان منه (يأيها الذين آمنوا) كما نقل السيوطي (911 هـ) حيث قال : (ما كان في القرآن يأيها الناس أو يا بني آدم فإنه مكي وما كان يأيها الذين آمنوا فإنه مدني) (1) .

وهذا القول أيضًا غير ضابط و لا حاصر من وجهين :

الأول : ضعف هذا القول العلماء قائلين : اتفق الناس على أن النساء مدنية وأولها(يأيها الناس) وعلى أن الحج مكية وفيها (يأيها الذين آمنوا) . وهذا القول إن اخذ على إطلاقه فيه نظر فإن سورة البقرة مدنية وفيها (يأيها الناس) وسورة النساء مدنية وأولها (يأيها الناس) .كما انه لم يقصد وضع ضابط تعريف للمكي والمدني ، و إنما أراد بيان علامة من علامة القران للمكي والمدني ، أو تفسيرا لبيان المراد بهذا الخطاب ، وبهذا يكون هذا القول غير ضابط وغير مطرد .

الثاني : أن هناك آيات كثيرة وسور عديدة ليس فيها نداء يأيها الناس ، ولا يأيها الذين آمنوا ، وهذا القول لايشملها فلا يكون ضابطا ولا حاصرا .

القول الثالث : حيث اعتبرت الزمان ورأت أن الهجرة هي الحد الفاصل بين المكي والمدني ، فما نزل قبل الهجرة فهو مكي ، وما نزل بعد الهجرة فهـــــو مدني وإن نزل في مكة قالوا : وما

(1) الإتقان في علوم القران ، السيوطي : 23/1

نزل في طريق المدينة قبل أن يبلغ النبي –صلى الله عليه وسلم –المدينة فهو من المكي[1].

وهذا التعريف ضابط وحاصر ولا تخرج عنه آية من آيات القران الكريم وعليه فإن قوله تعالى : (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً)[2] مدنية مع أنها نزلت في عرفات بمكة ، بل أن قوله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا)[3] مدنية مع أنها نزلت في جوف الكعبة، لأن هاتين الآيتين نزلتا بعد الهجرة عام الفتح . وهذا هو الذي يعنينا في موضوع بحثنا ، لتعلقه بزمن النزول ، وإنه حاصر لجميع القران ، ومطرد فيه ، على عكس غيره من تعريفات المكي و المدني .

المبحث الثاني :طرق معرفة المكي والمدني :

يعرف المكي والمدني بأحد طريقين :

الطريق الأول : النقلي السماعي : وهي الآيات والسور التي عرفنا أنها مكية أو مدنية بطريق الرواية عن أحد الصحابة الذين عاشوا فترة الوحي وشاهدوا التنزيل ، أو عن أحد التابعين الذين سمعوا ذلك من الصحابة

أما النبي – صلى الله عليه وسلم – فلم يرد عنه بيان للسور المكية والسور المدنية ،

لأن هذا مما يشاهدوه ويحضره الصحابة - رضي الله عنهم – فكيف يخبرهم عن شيء يعلمونه ؟ فالمكي والمدني يعرف بغير نص من الرسول – صلى الله عليه وسلم - .

قال العلماء : إنما يرجع في معرفة المكي والمدني لحفظ الصحابة والتابعين ،ولم يرد عن النبي – صلى الله عليه وسلم – في ذلك قول ، لأنه لم يؤمر به ولم يجعل الله علم ذلك من فرائض الأمة إن وجب في بعضه على أهل العلم معرفة تأريخ الناسخ والمنسوخ ، فقد يعرف ذلك بغير نص من الرسول [4].

ومن أمثلة ما عرف أنه مكي أو مدني عن طريق الصحابة رضي الله عنهم قوله تعالى :(يايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين) (5) فقد روي عن ابن عباس (68هـ)أنها نزلت لما أسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ومن المعلوم أن عمر قد اسلم في مكة فالآية إذن مكية، وسورة الحج أنها مكية (6) ومنها حديث عائشة رضي الله عنها وفيه : لقد نزل بمكة على محمد _صلى الله علية وسلم _ و إني لجارية العب(بل الساعة موعدهم والساعة أدهى و أمر) (7) وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده(8)

الطريق الثاني :القياسي الاجتهادي

نظر العلماء :- رحمهم الله تعالى- في الآيات والسور التي عرفوا أنها مكية أو مدنية بالطريق الأول (السماعي النقلي) واستنبطوا خصائص وضوابط للسور المكية ، وخصائص وضوابط للسور المدنية

---

1) انظر جميع الأقوال وقائليها في :البرهان في علوم القران للزركشي :187/1، الإتقان :23/1، مناهل العرفان في علوم القران للزرقاني : 194/1 . (2)سورة المائدة :3. (3) سورة البقرة :168. (4) انظر : الإتقان : 9/1 .

(5) سورة الأنفال : 64 . (6) الإتقان : 13/1. (7) سورة القمر : 46 . (8) صحيح البخاري : 101/6 .

، ثم نظروا في السور التي لم يرد نصوص في بيان مكان نزولها، فإن وجدوا فيها خصائص السور المكية قالوا : إنها مكية، وإن وجدوا فيها خصائص السور المدنية قالوا : إنها مدنية ،وهذا يكون بالاجتهاد والقياس فسمى هذا الطريق بالقياس الاجتهادي .

ونقل الزركشي عن الجعبري ت (732هـ) قوله:لمعرفة المكي والمدني طريقان: سماعي، وقياسي،فالسماعي ما وصل إلينا نزوله بأحدهما، والقياسي كل سورة فيها يأيها الناس فقط ، أو كلا، أو أولها حرف تهج سوى الزهراوين ، والرعد ، أو فيها قصة آدم وإبليس سوى الطولى – أي البقرة - فهي مكية، وكل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم الخالية مكية ، وكل سورة فيها فريضة أو حد فهي مدنية .(1)

وسنرى في الأمثلة التطبيقية – إن شاء الله – إيضاح ذلك .

المبحث الثالث : ضوابط وخصائص السور المكية والمدنية .

المطلب الأول : ضوابط السور المكية(2)

1-كل سورة فيها (كلا) فهي مكية . وردت في القران ثلاثا وثلاثين مرة في خمس عشرة سورة كلها في النصف الأخير من القران، وحكمة ذلك أن (كلا) للردع والزجر وهذا إنما يكون للمعاند المستكبر فهو مناسب لمخاطبة المشركين في مكة .

2-كل سورة فيها سجدة تلاوة فهي مكية

3-كل سورة مبدوءة بقسم .

4-كل سورة مفتتحة بأحرف التهجي سوى البقرة وال عمران فانهما مدنيتان بالإجماع وفي الرعد خلاف

5-كل سورة فيها يايها الناس وليس فيها يايها الذين آمنوا فهي مكية إلا سورة الحج فإنها مكية مع أن في آخرها يايها الذين آمنوا .

والذي يظهر لي – والله اعلم – أن الطريق القياسي مبني على العلم بواقع معين في مراحل تنزل القران ،فمن خلال ما ورد من الحديث عن هذا الواقع يُحكم بأنه مكي أو مدني ، فمثلا :النفاق لم يظهر إلا في المدينة ، ونزلت آيات تعالج هذه القضية ، وتكشف عورة المنافقين ،فلا شك لا ينفك عنه حتى ولو في نقل هذا الواقع الذي وجد في مراحل معينة .وما نقل عن الصحابة والتابعين في بيان المكي والمدني أكثر من أي علم آخر من علوم القرآن.

-تأسيس العقيدة الإسلامية في النفوس بالدعوة إلى عبادة الله وحده والإيمان برسالة محمد _ صلى الله علية وسلم _ ، وباليوم الآخر ، و إبطال المعتقدات الوثنية الجاهلية وعبادة غير الله وإيراد الحجج والبراهين على ذلك .

---

(1) انظر : البرهان :189/1 الإتقان :17/1 .

(2) انظر : الإتقان : 17/1 ، مناهل العرفان : 196/1 –197 .

المطلب الثاني : خصائص السور المكية .(1)

2-تشريع أصول العبادات والمعاملات والآداب والفضائل العامة ففي مكة فرضت الصلوات الخمس مثلا وحرم أكل مال اليتيم ظلما ، كما حرم الكبر والخيلاء ونحوها

3-الاهتمام بتفصيل قصص الأنبياء والأمم السابقة ، وبيان ما دعا إليه الأنبياء السابقون من عقائد ، ومواقف أممهم منهم وما نزل بالمكذبين من عذاب دنيوي جزاء تكذيبهم وإيراد الحوار بين الأنبياء وخصومهم و إبطال حججهم بما يوحي إلى أهل مكة بوجوب اخذ العبرة من هؤلاء وفي هذا بسط أيضا للعقيدة الإسلامية الصحيحة

4-قصر السور والآيات مع قوة جرس الألفاظ ووقوعها وإيجاز العبارة مع بلاغة المعنى ووفاءه .

المطلب الثالث : ضوابط السور المدنية .

1-كل سورة فيها يايها الذين آمنوا وليس فيها يايها الناس فهي مدنية ، قال السيوطي : (ما كان يأيها الذين آمنوا انزل بالمدينة ، وما كان يايها الناس فبمكة) (2) .

2-كل سورة فيها ذكر للمنافقين فمدنية سوى العنكبوت . والصحيح أن أول العنكبوت الذي ورد فيه ذكر المنافقين مدني لما أخرجه ابن جرير في سبب نزولها(3).

3-كل سورة ورد فيها حد أو بيان فريضة فهي مدنية.

المطلب الرابع : خصائص السور المدنية (4)

1-يخاطب القران في المدينة _ غالبا _ مجتمعا إسلاميا فكان الغالب تقرير الأحكام التشريعية للعبادات والمعاملات والحدود والفرائض و أحكام الجهاد وغيرها .

2-نشأ في المجتمع المدني طائفة من المنافقين و فتحدث القران الكريم عن طبائعهم وهتك أستارهم ، وبين خطرهم على الإسلام والمسلمين وكشف عن وسائلهم ومكائدهم وخباياهم ومخططاتهم للكيد للمسلمين . ولم يكن في مكة نفاق لان المسلمين كانوا قله مستضعفين فكان الكفار يحاربوهم جهارا.

3-عاش بين المسلمين في المدينة طائفة من أهل الكتاب وهم اليهود وكانوا يمكرون مكرا سيئا ويكيدون للإسلام و أهله فكشف القران في المدينة سرائرهم وابطل عقائدهم ، وكشف تحريفهم لديانتهم وبين بطلان عقائدهم ، ودعائهم إلى الإسلام بالحجة والدليل والبرهان .

4-الغالب على الآيات والسور المدنية طول المقاطع والسور لبسط العقائد الإسلامية والأحكام التشريعية ، فقد كان أهل المدينة مسلمين يقبلون على سماع القران، وينصتون حتى كان على رؤسهم الطير ، فالمقام ليس مقارعة ولجاجا ينسابه الإيجاز بل المقام مقام إقبال وإنصات وإذعان يناسبه الاسترسال والإطناب .

---

(1) انظر : دراسات في علوم القران الكريم: فهد بن عبد الرحمن الرومي ، : 131/130 .

(2) الإتقان : 17/1 (3) جامع البيان في تأويل آي القران للطبري : 86/20 (4) دراسات في علوم القران الكريم :132

المبحث الرابع : أقوال العلماء مع الأمثلة التطبيقية لها .

اعتمد أئمة التفسير لموضوع أصل بحثنا ، فصححوا بها أقوالا ، وضعفوا بها أخرى بناء على ما يقضي به تأريخ النزول ، فمن هؤلاء الأئمة :

1- منهم مسروق بن الأجدع (63هـ) : فقد أخرج ابن جرير الطبري (310هـ) بسنده عنه في تفسير قوله تعالى : (وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ)[1] .

أنه قال : (والله ما نزلت في عبد الله بن سلام ، وما نزلت إلا بمكة ، وما أسلم عبد الله إلا بالمدينة ، ولكنها خصومة خاصم محمد – صلى الله عليه وسلم – بها قومه ، قال : نزلت : « قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ » قال : فالتوراة مثل القران ، وموسى مثل محمد ، فآمنوا بالتوراة وبرسولهم ، وكفرتم) [2] .

2- التابعي الجليل سعيد بن جبير (95هـ) أخرج الطبري بسنده عن أبي بشر (125هـ) قال : (قلت لسعيد بن جبير «ومن عنده علم الكتاب »[3] أهو عبد الله بن سلام ، قال : هذه السورة مكية ، فكيف يكون عبد الله بن سلام ! قال :وكان يقرأها «ومن عنده علم الكتاب » يقول :من عند الله) [4] .

3- ومنهم الشعبي (104هـ) أخرج الطبري بسنده عنه أنه قال : (أناس يزعمون أن شاهد من بني اسرائيل على مثله عبد الله بن سلام ، وإنما أسلم عبد الله بن سلام بالمدينة وقد أخبرني مسروق أن آل حم إنما نزلت بمكة)[5] .

4- ومنهم ابن جرير الطبري :فقد أسند إلى ابن زيد[6] في تفسير قوله تعالى « سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ »[7] قوله :قال الله له عز وجل حين رجع من غزوة خيبر (فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَداً وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوّاً)[8]

، لأن الله –عزوجل-:« فاستدنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا » إنما انزل على رسول الله – صلى الله عليه وسلم - منصرفه من تبوك ، وعني به الذين تخلفوا عنه حين توجه إلى تبوك لغزو الروم ، ولا اختلاف بين أهل العلم بمغازي رسول الله -صلى الله عليه وسلم - أن تبوك كانت بعد فتح خيبر و تعد فتح مكة أيضا ،فكيف يجوز أن يكون الأمر على ما وصفنا معنيا بقول الله :«يريدون أن يبدلوا كلام الله » . وهو خبر عن المتخلفين عن المسير مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم – إذ شخص معتمرا يريد البيت ،فصدره المشركون عن البيت الذين تخلفوا

---

1) سورة الأحقاف : 10 . (2) جامع البيان : 9/26 . (3) سورة الرعد : 43 .

(4) جامع البيان : 505/16 . (5) المصدر نفسه . (6) هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم المدني ، من أتباع التابعين ، توفي سنة 310هـ ، انظر : سير أعلام النبلاء للذهبي : 349/8 .

(7) سورة الفتح : 15 . (8) سورة التوبة : 83 .

عنه في غزوة تبوك ، وغزوة تبوك لم تكن كانت يوم نزلت هذه الآية ، ولا كان أوحي إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قوله : « فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا »)(1)

5- ومنهم القاضي ابن عطية (542هـ) : ففي معنى (الإثم) من قوله تعالى : (قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم) [2] قال : (قال بعض الناس : هي الخمر ، واحتج على ذلك بقول الشاعر : شربت الإثم حتى طار عقلي (3) قال القاضي أبو محمد : وهذا قول مردود ، لأن هذه السورة مكية ،ولم تعن الشريعة بتحريم الخمر إلا بالمدينة بعد أحد ، لأن جماعة من الصحابة اصطحبوها يوم احد ، وماتوا شهداء وهي في أجوافهم ،وأيضا فبيت الشعر يقال إنه مصنوع مختلق ...) (4)

6-ومنهم أبو عبد الله القرطبي (671هـ) : قال في تفسير قوله تعالى :(وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ)[5] (قيل : « فصل » بين ، وهو ما ذكره في سورة المائدة من قوله تعالى :« حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ » [6] قلت – القائل القرطبي :- هذا فيه نظر ، فإن « الأنعام » مكية ، « والمائدة » مدنية ، فكيف يحيل بالبيان على ما لم ينزل بعد) .[7]

7- ومنهم ابن المنير (683هـ) : ففي تفسير قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ)[8] حكي الزمخشري (538هـ) قولا مفاده أن النبي - صلى الله عليه وسلم- كان في مرط [9] لعائشة يصلي وقت خطابه بهذه السورة .

قال ابن المنير – معلقا على هذا القول :- وأما نقله – أي الزمخشري – أن ذلك كان في مرط عائشة – رضي الله عنه – فبعيد ، فإن السورة مكية ، وبنى النبي - صلى الله عليه وسلم - على عائشة – رضي الله عنه – بالمدينة [10]

---

(1) جامع البيان : 81/26.

(2) سورة الأعراف : 33

(3) هذا البيت كما ترى حكى ابن عطية انه مصنوع ، وكذا قال أبو حيان في البحر المحيط : 44/5 ، والسمين في الدر : 307/5 ، والبيت في تهذيب اللغة للأزهري : 161/15 ، والصحاح للجوهري : 1858/5 ، واللسان لابن منظور 12 /7 (مادة / إثم)

(4) المحرر الوجيز : 7 / 49 – 50

(5) سورة الأنعام: 119 . (6) سورة المائدة : 3.(7) الجامع لأحكام القران للقرطبي : 73/7 .

(8) سورة المزمل : 1 .

(9) المرط : أكسية من الصوف أو خرز كان يؤتز بها . انظر : اللسان (مادة / مرط).

(10) انظر: الإنصاف بهامش الكشاف : 174/4 .

8- ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية . (728هـ) : قال – في منهاج السنة في معرض رده على الرافضي(1) الذي ادعى أن سورة (هل أتى) نزلت في حق عليّ وفاطمة والحسن و الحسين -: (أن عليا إنما تزوج فاطمة بالمدينة ولم يدخل بها إلا بعد غزوة بدر ، والحسن والحسين ولدا بعد ذلك ، والناس متفقون على أن عليا لم يتزوج فاطمة إلا بالمدينة بعد غزوة بدر ، وولد له الحسن في السنة الثالثة من الهجرة ، والحسين في السنة الرابعة من الهجرة بعد نزول هل أتى بسنين كثيرة ، وأن سورة هل أتى مكية باتفاق العلماء ، وقول القائل : إنها نزلت فيهم من الكذب الذي لايخفى على من له علم بنزول القران ، وعلم بأحوال هؤلاء السادة الأخيار) [2]

9 ،10- ومنهم ابن جُزي الكلبي (741هـ) وأبو حيان الأندلسي (745هـ) ، فقد ذكرا في تفسير قوله تعالى: (يردون أن يبدلوا كلام الله) [3] قول ابن زيد في الآية ، ورداه بأصل بحثنا [4] ، في كلام ابن جرير الطبري الذي يغني عن إعادته هنا .

وغير هؤلاء كثير يطول المقام بسرد أقوالهم في ذلك [5]

---

(1) هو الحسن بن يوسف بن على بن المطهر الحلي ، أحد صناديد التشيع ،له كتاب بعنوان منهاج الكرامة في معرفة الإمامة ، حيث ملأه سبًا وشتمًا على الصحابة الكرام . انظر: البداية والنهاية لابن كثير : 217/12. (2) منهاج السنة النبوية : 20/4 . (3) سورة الفتح : 15 .(4) انظر : التسهيل لعلوم التنزيل :53/4 ، البحر المحيط : 489/9

(5) منهم الفخر الرازي في تفسيره : 175/13 ، السمين الحلبي : 307-306/5 ، والحافظ ابن كثير : 159/2 ، 346 ، والشنقيطي في أضواء البيان : 209/2 .

الأمثلة التطبيقية

ما جاء عند الرافضة [1] في تفسير قوله تعالى : (مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لا يَبْغِيَانِ .....يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ) [2] حيث ساق مفسرهم[3] بسنده عن ابن عباس قوله : (مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ) علي و فاطمة (بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ) النبي – صلى الله وعليه وسلم - ، (يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ) الحسن و الحسين ، ولم تحصل لغيره من الصحابة هذه الفضلية فيكون أولى بالإمامة .

وقد رد عليه الإمام ابن تيمية قائلا : أن هذا هذيان ، ما هو تفسير للقران ، بل هو من وضع الملاحدة ، ..... ونحن نجد ضرورة لاتدفع أن ابن عباس ماقال هذا ، ومما يبن كذب ذلك وجوه : أحدها : إن هذا في سورة الرحمن وهي مكية بإجماع المسلمين ، والحسن والحسين إنما ولدا بالمدينة . الثاني : أن تسمية هذين بحرين وهذا لؤلؤا وهذا مرجانا أمر لاتحتمله لغة العرب بوجه لاحقيقة ولا مجازا ، بل إنه كذب على الله وعلى القران فهو كذب على اللغة . الثالث : أن الله ذكر أنه مرج البحرين في آية أخرى فقال : وهذا الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج فلو أراد بذلك عليا وفاطمة لكان ذلك ذما لأحدهما بإجماع المسلمين كافة . [4]

ومن الأمثلة – أيضا- ما جاء عند الرافضة في تفسير قوله تعالى : (قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى)[5] حيث ساق مفسرهم [6] بسنده عن ابن عباس قال : (لمّا نزلت هذه الآية : « قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى » قالوا : يارسول الله من قرابتك الذين افترض الله عليهم مودتهم ؟ قال : علي ، وفاطمة ، وولداهما) [7] .

---

(1) هم فرقة من الشيعة ، سموا بذلك لأن زيدا بن علي بن الحسين امتنع عن لعن الشيخين (أبي بكر و عمر) وقد طلبوا منه حتى يظل على نصرته ، فرفضوا رأيه وانفضوا من حوله فجرى عليهم هذا الاسم . انظر: اعتقادات فرق المسلمين و المشركين للرازي : 52 . (2) سورة الرحمن : 19-22 .

(3) هو المطهر الحلي . (4) انظر: منهاج السنة : 66/4 . (5) سورة الشورى : 23 (6) هو فرات الكوفي ، فقيه إمامي ، مفسر من أهل الكوفة ، المتوفى نحو 310هـ انظر : معجم المفسرين لعادل نويهض : 418/1 . (7) تفسير فرات الكوفي : 390/2 ، وأخرجه ا بن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير : 189/7 ، والدر المنثور للسيوطي : 348/7 . وإسناد فرات الكوفي وابن أبي حاتم يدور على حسين الأشقر ، وهو شيعي ، ولا يقبل خبره في هذا ، قال الحافظ ابن كثير بعد أن ساق إسناد ابن أبي حاتم : وهذا إسناد ضعيف ، وفيه مبهم لايعرف ، وهو حسين الأشقر ، ولا يقبل خبره في هذا المحل . وقال الحافظ ابن حجر في الفتح : 427/8 : إسناده واهن وفيه ضعيف ورافضي مات سنة 208هـ . وقال شيخ الإسلام ابن تيمية عن هذا الحديث : إن هذا الحديث كذب موضوع باتفاق أهل المعرفة بالحديث ، وهم المرجع إليهم في هذا ، وهذا لايوجد في شيء من كتب الحديث التي يرجع إليها . انظر : منهاج السنة : 99/7 .

وقال مفسر آخر [1] منهم في تفسير هذه الآية : قال أبو عبد الله –عليه السلام - : (..... إنما نزلت فينا خاصة أهل البيت في علي ، وفاطمة ، والحسن ، و الحسين ، أصحاب الكساء[2] عليهم السلام) [3] .

وأصل بحثنا يرد ويبطل كذب الرافضة ، وذلك أن عليا لم يتزوج فاطمة الزهراء إلا في المحرم من السنة الثانية للهجرة [4] ولم يولد لهما الحسن إلا في السنة الثالثة [5] ، والحسين في السنة الرابعة من الهجرة [6] - رضي الله عنهم جميعا – وهذه السورة مكية ، فكيف تكون نزلت فيهم ، وعلي لم يتزوج فاطمة فضلاً عن أن يولد لهما أولاد !! فهذا يدل على كذب القوم وبطلان ما يدعون على كتاب الله ، وقد أطال شيخ الإسلام ابن تيمية في إبطال تفسيرهم لهذه الآية ، واكتفى الأوجه التي لها تعلق بهذا الأصل التي نحن بصدد التمثيل له .

قال –رحمه الله- : الوجه الثالث : (أن هذه الآية في سورة الشورى وهي مكية باتفاق أهل السنة [7] ، بل جميع آل حم مكيات ، وكذلك آل طس .....الوجه الثامن : أن القربى معرفة باللام ، فلابد أن يكون معروفا عند المخاطبين الذين أُمرا أن يقول لهم : (قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً) [8] وقد ذكرنا أنها لما نزلت لم يكن قد خلق الحسن، ولا الحسين ، ولا تزوج علي بفاطمة . فالقربى التي كان المخاطبون يعرفونها يمتنع أن تكون هذه ، بخلاف القربى التي بينه وبينهم ،فإنها معروفة عندهم) [9] وقال الحافظ ابن كثير : (وذكر نزول هذه الآية في المدينة ، فإنها مكية ولم يكن إذ ذاك لفاطمة أولاد بالكلية ، فإنها لم تتزوج بعلي إلا بعد بدر من السنة الثانية للهجرة وألحق تفسير هذه الآية بما فسرها به الإمام حبر الأمة ، وترجمان القران عبد الله بن عباس كما رواه عنه البخاري

---

(1) لعبد علي بن جمعة الحويزي، المتوفى نحو 1100هـ . انظر: معجم المفسرين: 419/1 .

(2) أصحاب الكساء علي ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين ، وذلك لما جاء في حديث أم سلمة أنه لما نزلت آية (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) الأحزاب : 33 ، دعا النبي – صلى الله عليه وسلم – فاطمة و حسنا وحسينا فجللهم بكساء ، و علي خلف ظهره فجللهم بكساء ثم قال : اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ، أخرجه الإمام أحمد في المسند : 304/6 ، والترمذي كتاب التفسير ، باب سورة الأحزاب :(321/5-328) ، والطبري في تفسيره : 7/25 ، وقال الترمذي : حديث غريب ، وحسنه في موضع آخر : 656/5 .

(3) نور الثقلين : 571/4-572 .

(4) انظر : الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر : 157/8 .

(5) انظر : المصدر نفسه : 11/2 .

(6) انظر : المصدر نفسه : 14/2 .

(7) ومن قال أنها مكية إلا أربع آيات من قوله تعالى : (قل لا أسألكم عليه أجرا) اعتمدوا على آثار ضعيفة من رواية الكلبي وأمثاله في الضعفاء والمتروكين وقد ضعفها وضعف قول من استند إليها الأئمة كالحافظ ابن كثير في تفسيره : 189/7 ، والحافظ ابن حجر في الفتح : 427/8 ،.والشوكاني في تفسيره : 536/4 وغيرهم . وحُكي الإجماع على أن جميعها مكي كما ترى في كلام شيخ الإسلام . وقال ابن عطية : 201/14 : وهذه السورة مكية بإجماع من أكثر المفسرين

(8) سورة الشورى : 23 .

(9) منهاج السنة : 99/7، 103

« 256هـ ») [1] ولفظه أن ابن عباس – رضي الله عنهما – سئل عن قوله (إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) فقال سعيد ابن جبير : قربى آل محمد – صلى الله عليه وسلم – فقال ابن عباس : عجلت ، أن النبي – صلى الله عليه وسلم – لم يكن بطن من قريش إلا كان له فيهم قرابة ، فقال : إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة [2] .

وصحح هذا القول في تفسير الآية ابن جرير الطبري[3] ، وابن تيمية [4]، وابن كثير [5]، والشوكاني [6]، والطاهر ابن عاشور[7] وغيرهم [8] –عليهم رحمة الله جميعًا - .

ومنها ما جاء في تفسير قوله تعالى : (..... وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ....) [9] قال القرطبي : (قيل : « فَصَّلَ » أي بين ، وهو ما ذكره في سورة المائدة من قوله : « حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ » [10] . قلت : هذا فيه نظر ، فإن الأنعام مكية و المائدة مدنية فكيف يحيل بالبيان على ما لم ينزل بعد) [11] .

وقال الشنقيطي : (ومعنى الآية : أي شيء يمنعكم أن تأكلوا ما ذكيتم ، وذكرتم عليه اسم الله ، والحال أن الله فصل لكم المحرم أكله عليكم في قوله : قل لا أجد فيما أوحي إليه ، وليس هذا منه ، وما يزعموه كثير من المفسرين من أنه فصله لهم بقوله : « حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ » فهو غلط ، لأن قوله تعالى : حرمت عليكم الميتة من سورة المائدة ، وهي من آخر ما نزل من القران بالمدينة ، وقوله: وقد فصل لكم ما حرم عليكم من سورة الأنعام ، وهي مدنية ، فالحق هو ما ذكرناه) [12] .

---

(1) تفسير القران العظيم : 189/7 .

(2) أخرجه البخاري ، كتاب التفسير، تفسير سورة الشورى ، باب (إلا المودة في القربى) انظر: الصحيح مع الفتح : 426/8 .

(3) انظر : جامع البيان : 26/25 .

(4) انظر : منهاج السنة : 26/4 ، 562، 103/7 .

(5) انظر : تفسير القران العظيم : 189/7 .

(6) انظر : فتح القدير : 537/4

(7) انظر التحرير و التنوير : 83/25 .

(8) انظر : معالم التنزيل : 192/7 ، والمحرر الوجيز : 218/14 ، والجامع لأحكام القران : 23/16 .

(9) سورة الأنعام : 119 .

(10) سورة المائدة : 3 .

(11) الجامع لأحكام القران : 73/7 .

(12) أضواء البيان : 208/2 .

ومنها ما جاء في تفسير قوله تعالى : (سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ) [1] قال الطبري : (قال أهل التأويل : قال رجع، يعني رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عن مكة ، فوعده الله مغانم كثيرة ، فعجلت له خيبر ، فقال المخلفون : ذرونا نتبعكم يريدون أن يبدلوا كلام الله وهي المغانم ليأخذوها ، التي قال الله جل ثناءه إذا انطلقتم إلى المغانم لتأخذوها وعرض عليهم قتال قوم أولوا باس شديد) روي هذا القول عن مجاهد .

وقال آخرون : (لما وعدهم الله أن يفتح عليهم خيبر ، وكان الله قد وعدها من شهد الحديبية لم يعط أحدا غيرهم منها شيء ، فلما علم المنافقون أنها الغنيمة قالوا : ذرونا نتبعكم يريدون أن يبدلوا كلام الله يقول: ما وعدهم) .

وقال آخرون : (وهم الذين تخلفوا عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من الحديبية ، ذكر لنا أن المشركين لما صدوا رسول الله –صلى الله عليه وسلم - ، من الحديبية عن المسجد الحرام والهدي، قال المقداد : يا نبي الله ، إنا والله لانقول كالملأ من بني إسرائيل إذ قالوا لنبيهم « فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ » [2] ولكن نقول : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ، فلما سمع ذلك أصحاب نبي الله – صلى الله عليه وسلم – تبايعوا على ما قال ، فلما رأى ذلك نبي الله – صلى الله عليه وسلم – صالح قريشا ورجع من عامة ذلك) . روي هذا القول عن قتادة .

وقال آخرون في قوله تعالى:(سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ) ، قال الله عز وجل حين رجع من غزوه « فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوج فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَداً وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوّاً» [3] يريدون أن يبدلوا كلام الله : أرادوا أن يغيروا كلام الله الذي قال لنبيه – صلى الله عليه وسلم – ويخرجوا معه ، وأبى الله ذلك عليهم ونبيه – صلى الله عليه وسلم – .

قال الطبري : (وهذا الذي قاله ابن زيد قول لا وجه له ، لأن قول الله عز وجل : « فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوج فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَداً وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوّاً » إنما نزل على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – منصرفه من تبوك ، وعني به الذين تخلفوا عنه حين توجه إلى تبوك لغزو الروم ، ولا اختلاف بين أهل العلم بمغازي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أن تبوك كانت بعد فتح خيبر وبعد فتح مكة أيضا ، فكيف يجوز أن يكون الأمر على ما وصفنا معنيا بقول الله : يريدون أن يبدلوا كلام الله . وهو خبر عن المتخلفين عن المسير مع رسول الله إذ شخص معتمرا يريد البيت ، فصده المشركون عن البيت ، الذين تخلفوا عنه في غزوة تبوك، وغزوة تبوك لم تكن كانت يوم نزلت هذه الآية ، ولا كان أوحي إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قوله : فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوج فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَداً وَلَنْ

---

(1) سورة الفتح : 15 .

(2) سورة المائدة :24 .

(3) سورة التوبة : 83 .

تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوّاً » [1] .

وصحح هذا القول في تفسير الآية ابن عطية [2] ، وابن جزي[3] ، وأبو حيان [4] ، وابن كثير [5] ، و الآلوسي [6] ، والشوكاني [7] ، والقاسمي [8] ، وغيرهم .

ومنها ما جاء في تفسير قوله تعالى : (الم ، اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ) [9] قال سيد قطب في تفسيره : (وتذكر عدة روايات أن الآيات من 1-83 نزلت في الحوار مع وفد نصارى نجران اليمن الذي قدم المدينة في السنة التاسعة هي زمن نزول هذه الآيات .فواضح من طبيعتها وجوها أنها نزلت في الفترة الأولى من الهجرة ، حيث كانت الجماعة بعد ناشئة ،وكان لدسائس اليهود وغيرهم أثر شديد في كيانها وفى سلوكها) [10]

ويقول: إذا أخذنا بالروايات التي تقول :أن الآيات الأولى من هذه السورة إلى بضع وثمانين آية منها نزلت في مناسبة قدوم الوفد من نصارى نجران اليمن ،ومناظرته للرسول- صلى الله عليه وسلم –في أمر عيسى – عليه السلام – فإن الدرس بجملته يكون داخلا في إطار هذه المناسبة ،لولا أن هذه الروايات توقف مجيء ذلك الوفد بالسنة التاسعة للهجرة ،حيث كان الإسلام قد انتهى إلى درجة من القوة والشهرة في الجزيرة العربية كلها ،جعل الوفود من شتى بقاع الجزيرة تفد على النبي – صلى الله عليه وسلم – تخطب وده ،أو تعرض التعاهد معه ،أو تستجلي حقيقة أمره .ونحن كما أشرنا فيما تقدم نحس أن الموضوع الذي تعالجه هذه الآيات وطريقة علاجها له كلاهما يرجح أن هذه الآيات نزلت مبكرة في السنوات الأولى للهجرة... ومن ثم فنحن أميل إلى اعتبار ما ورد في هذه السورة من حجاج وجدل مع أهل الكتاب ، ونفي للشبهات التي تضمنتها معتقداتهم المنحرفة ،أو التي تعمدوا نثرها حول صحة رسالة النبي – صلى الله عليه وسلم – وحقيقة عقيدة التوحيد الإسلامية وكذلك ما اقتضاه كيد أهل الكتاب من تحذير للجماعة المسلمة وتثبيت ،ونحن أميل إلى اعتبار هذا كله غير مقيد بحادث وفد نجران في السنة التاسعة ،وانه كانت هناك مناسبات أخرى مبكرة هي التي نزل فيها هذا القران من هذه السورة.ومن ثم سنمضي في استعراض هذه النصوص بوصفها مواجهة لأهل الكتاب غير مقيد بهذا الحادث الخاص المتأثر في التاريخ [11] .

إن هذا الإشكال الذي نبه إليه الأستاذ سيد قطب بشان ما وردت به الروايات إشكال وجيه جدا ،ولا يملك أي باحث أن يتغافل عنه ،ويؤيد بحثنا ،فنحن نؤيد رأي الأستاذ سيد قطب عن وعي وقناعة

---

(1) انظر جميع الأقوال في جامع البيان : 81/26 .

(2) انظر: المحرر الوجيز : 100/15

(3) انظر : البحر المحيط : 489/9 .

(4) انظر : التسهيل : 53/4 .

(5) انظر : تفسير القران العظيم : 320/7 .

(6) انظر : روح المعاني : 101/26 .

(7) انظر : فتح القدير : 49/5 .

(8) انظر محاسن التأويل : 5413/15 .

11) سورة آل عمران: 1-2 .

(12) في ظلال القران : 362/1 .

(13) انظر : المصدر نفسه .

،ثم نزيد فنقول :أن هناك إشكال آخر ،لعله أخطر من الأول ،وهو أن مجموعة الآيات في سورة آل عمران تشتمل على آيات لا تصدق إلا على اليهود.

نأخذ مثلاً قوله تعالى :(إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ)[1] ومن يكون أولئك غير اليهود ؟ إن أعمالهم هذه من الاشتهار بحيث لايلزم أن يسموا بأسمائهم ، وإنما تكفي الإشارة ليعلم من هم ؟ .

وأيضا قوله تعالى : (فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ)[2] فإن القران لم يصف بالزيغ إلا اليهود ، حيث قال : (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ)[3]. كما لم يطلق وصف الراسخين في العلم إلا على الصالحين منهم حيث قال : (فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيراً، وَأَخْذِهِمُ الرِّبا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً ، لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْراً عَظِيماً)[4].

إذاً فلا يصح القول بأن هذه الآيات تتناول النصارى أو تخص وفدا منهم يعرف بوفد نصارى نجران . ولعل الذي ذهب بالناس إلى هذا القول ، أو حملهم على قبول روايات وأدتهم إلى هذا القول –على الرغم من ضعفها[5] – هو أن قدرا كبيرا من هذه الآيات تحتوي على ذكر عيسى وأم عيسى – عليهما السلام – .

ولكن مجرد هذا السبب لايكفي للقول بأن هذه الآيات ناظرة إلى النصارى ، وإنها تخاطبهم وترد على تساؤلاتهم .

ولو أننا قلنا بمثل هذا القول ، فإنه سيوقفنا أمام إشكال يعوزنا التخلص منه ، وهو أن مناظرة هؤلاء النصارى وجدالهم إنما كان يدور حول الاعتقاد بإلهية عيسى وبنبوته وما إلى ذلك . فما بال القران قد استفاض في ذكر امرأة عمران ، ثم في نشأة مريم ، ثم في قصة زكريا ويحيى ؟ وما صلة هذه القضايا بتلك ؟ وأيضا تناول القران هذا قصة عيسى بأسلوب لايتفق أو لايتناسب مع القضية التي قد آثارها هؤلاء . فما علاقة تلك القضية بمكر اليهود بعيسى وبرفعه وبوعد متبعيه بالغلب والنصر إلى يوم القيامة ؟ إنما كان يكفي في مثل هذا الجو أن يعارض هؤلاء بما ورد في سورة مريم ، فقد كانت سورة مريم ردا مقنعا وجوابا مفحما لكل من يعتقد في عيسى غير ما كان عليه من البشرية والعبودية.

وعلى أية حال فالمتأمل في تلك الآيات وسياقها وملابساتها المحيطة بها يذهب بنا إلى القول بأنها لاصلة لها بحادث وفد نصارى نجران ، بل هي اعم من ذلك[1] .

---

(1) سورة آل عمران : 21 . (2) سورة آل عمران : 7 . (3) سورة الصف : 5 .

(4) سورة النساء : 160-162. (5) انظر : مجموع الفتاوى : 399/17 .

1- انظر : معاني المحكم والمتشابة في القرآن الكريم : 14 وما بعدها .

- ومن نظائر هذه الأمثلة :

1- انظر : المحرر الوجيز : 104/6 في تفسير قوله تعالى : (وما قدروا حق قدره) الأنعام : 91 .

2. انظر : منهاج السنة : 20/4 ، تفسير ابن كثير : 159/2 ، 346 وغيرها .

المصادر والمراجع

1-الإتقان في علوم القران ، لجلال الدين السيوطي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار التراث – القاهرة ، ط^3 ، 1405هـ .

2-الإصابة في تميز الصحابة ، الحافظ ابن حجر العسقلاني ، دار الكتب العلمية –بيروت .

3-أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، لمحمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي ، عالم الكتب – بيروت .

4- اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ، محمد بن عمر الرازي ، راجعه د. علي سامي النجار ، مكتبة النهضة – مصر ، 1938 م.

5- الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال ، مطبوع في هامش الكشاف ، مطبعة البابي الحلبي ، مصر ، الطبعة الخيرة ، 1392 هـ .

6- البحر المحيط ، لأبي حيان الأندلسي ، محمد بن يوسف ، عناية ، صدقي محمود جميل ، دار الفكر ، ط^2 ، 1412هـ .

7- البداية والنهاية ، ابن كثير عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر ، تحقيق : جماعة من المحققيين ، دار الحديث ، القاهرة ، ط^2 ، 1987م .

8- البرهان في علوم القران ، لبدر الدين الزركشي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم . دار المعرفة – بيروت ، ط^2 1391هـ .

9- التسهيل لعلوم التنزيل ، لمحمد بن أحمد بن جُزي الكلبي ، دار الكتاب العربي – بيروت ، ط^2 ، 1412هـ .

10- تفسير التحرير و التنوير ، لمحمد الطاهر ابن عاشور ، الدار التونسية – ليبيا .

11- تفسير فرات الكوفي ، الفرات بن إبراهيم الكوفي ، تحقيق ، محمد الكاظم ، مؤسسة النعمان للطباعة و النشر – بيروت ، 1412هـ .

12- تفسير القران العظيم ، ابن كثير ، تحقيق:عبد العزيز غنيم وآخرون ، الشعب ، القاهرة.

13- تفسير نور الثقلين ، لعبد علي بن جمعة ، صححه هاشم الرسولي المحلاتي ، المطبعة العلمية – قم .

14- تهذيب اللغة ، لأبي منصور ، محمد بن أحمد الأزهري ، تحقيق : عبد السلام هارون وآخرون ، الدار المصرية للتأليف و الترجمة – مصر 1384هـ .

15- جامع البيان عن تأويل آي القران ، لمحمد بن جرير الطبري ، تحقيق : محمود شاكر ، دار المعارف – مصر ، ط^2 .

16- الجامع لحكام القران ، محمد بن أحمد القرطبي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، 1695هـ .

17- دراسات في علوم القران الكريم ، فهد بن عبد الرحمن الرومي ، مكتبة التوبة_ الرياض _ ط8 ،1999م

18- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، لأحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي ، تحقيق : أحمد محمد الخراط ، دار القلم – دمشق ، ط^1 1406هـ .

19- الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، لجلال الدين السيوطي ، دار الفكر – بيروت ط^1 ، 1403هـ .

20- روح المعاني في تفسير القران العظيم و السبع الثماني ، لمحمد شكري الآلوسي ، دار الفكر – بيروت ، 1408هـ .

21- سنن الترمذي ، محمد بن عيسى ، تحقيق : أحمد شاكر ، ومحمد عبد الباقي ، وكمال الحوت ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط^1 ، 1408هـ .

22- سير أعلام النبلاء ، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي ، حققه : جماعة بإشراف شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، ط^1 ، 1408هـ .

23- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، لإسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم - بيروت ، ط4 ، 1990م .
24- صحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل ، دار الفكر ، بيروت ، 1986هـ .
25- فتح الباري في شرح البخاري ، لابن حجر العسقلاني ، تحقيق الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، دار الفكر .
26- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، محمد بن علي الشوكاني، دار الفكر – بيروت 1403هـ .
27- في ظلال القرآن ، للأستاذ الإمام سيد قطب ، دار الشروق ، بيروت .
28- لسان العرب ، لابن منظور ، دارصادر - بيروت .
29- مجموع الفتاوى ، شيخ الإسلام : أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، جمع : عبد الرحمن بن محمد ابن القاسم ، دار الكتب المصرية – القاهرة .
30- المحرر الوجيز في تفسير القرآن العزيز ، لأبي محمد عبد الحق بن غالب ابن عطية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ،المغرب ، ط1.
31- مسند الإمام أحمد بن حنبل ، الميمنية – القاهرة ، 1313 هـ
32- معالم التنزيل ، لمحيي السنة الحسين بن مسعود البغوي ،تحقيق :محمد عبد الله النمر ، وآخرون ، دار طيبة- الرياض ، 1409 هـ .
33- معاني المحكم والمتشابة في القرآن الكريم : أحمد حسن فرحات , دار عمار , ط1 , 2004م.
34- معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى عصرنا الحاضر ، لعادل نويهض ، مؤسسة نويهض الثقافية ، ط 3 ، 1988م .
35- معجم مقاييس اللغة ،لأبي الحسين احمد بن فارس ، تحقيق :عبد السلام محمد هارون دار الفكر ،1399هـ
36- مفاتيح الغيب ، تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ، لمحمد بن عمر الرازي فخر الدين ، دار الفكر – بيروت ، 1410 هـ.
37- مناهل العرفان في علوم القرآن ، محمد عبد العظيم الزرقاني ، دار الفكر .
38- منهاج السنة النبوية ، لابن تيمية ، تحقيق : محمد رشاد سالم ، جامعة محمد بن سعود الإسلامية ، 1406هـ.